إذا ما رأيتَ اللِّيتَ منْ تَغْلبيّةٍ فَقُبِّح ذاك الليتُ والمتوّشحُ
تَرى محجراً منها إذا ما تَنَقَّبَتْ قبيحاً وما تحتَ النقابين أقبحُ

فيخيل إليك أن كل تغلبية بشعة وأن عنقها قصير ، وأن عينيها من القباحة بحيثُ لا يحملهما نقاب ، ما تحت النقابين أقبح وأشد شرًّا ودمامة . وهو يلحّ على جمال المنخرين فيرى عند الرجال التغلبيين أهل الأخطل شعراً كثيراً فى مناخيرهم ، وكان العرب يتقززون منه وينفرون . وينظر إلى أم الأخطل فيقول :

لمْ يَجر مُذْ خُلقتْ على أنيابها ماءُ السواك ولمْ تمس طهورَا

فاعجبْ لشاعر يتصل بهذه المساوئ فيثيرها ، ويَلصقها بالمهجو ويخرجها إخراجاً حسناً — كما نقول اليوم — فى صورة بارعة تُضحك الناسَ من هذه الأم ، حين يتصوّرون أسنانها السوداء لم يمرّ بها ماء السواك ، وهى امرأة علمها الإسلام نظافةً وطهارةً وطيباً ، فلم تلتزم أمراً منها ، وغدت بغير طهارة أو دين ، وغريب أن يلحّ فى ذلك ، فيهجو القبحَ فى كلّ شيء حين يقول :

وكأنمــا بَصَقَ الجرادُ بليتهــا فالوجهُ لا حسناً ولا مَنضُورَا

فتصوّر هذا الجراد يبصقُ فى مجرى العنق ، حيث يطيل الرجل النظر ويستمد الجمال ، ويستوحى السحر والطيبَ عند المرأة . بل إنه يصوّر الأسنان وقد لصقت باللثة ، ومالت الأنياب على الأسنان فأصبح الضرس كالحافر . ويرسم الذقن فى أسوأ شكل فيشبه به أعضاء الحمار ، ويصف البطنَ تقرقر بالعدس والفول ، فتعجب لخيال الشاعر وبُعد نظره ، وذهابه فى جمع شتات القبح . وحشره فى صورة واحدة . كأنه رسامٌ يعشق الجمال ويكره ما عداه ، بل ينفر منه فيثيره ، ويقول فيه هذا اللون من الوصف والتندر ، والتشفى والانتقام ، لو وضعت فى لوحة لانقلب الناس أمامها ضاحكين .

وأبو نواس الحسن بن هانئ ، يهجو البشاعة والقبح فى صور بارعة كذلك تستدعى الإعجابَ بريشة هذا الرسام المتفنن الذى بلغ قمة الشعر فى كثير من أبوابه ، فقد حلق فى فن الوصف والرسم — كما رأينا فى كتاب الوصف —

---

(١) الليت : مجرى القرط من العنق .